المكتبة
الحديثة
للأطفال

محمد عطية الإبراشي



حارسة الورد

وقصص أخرى

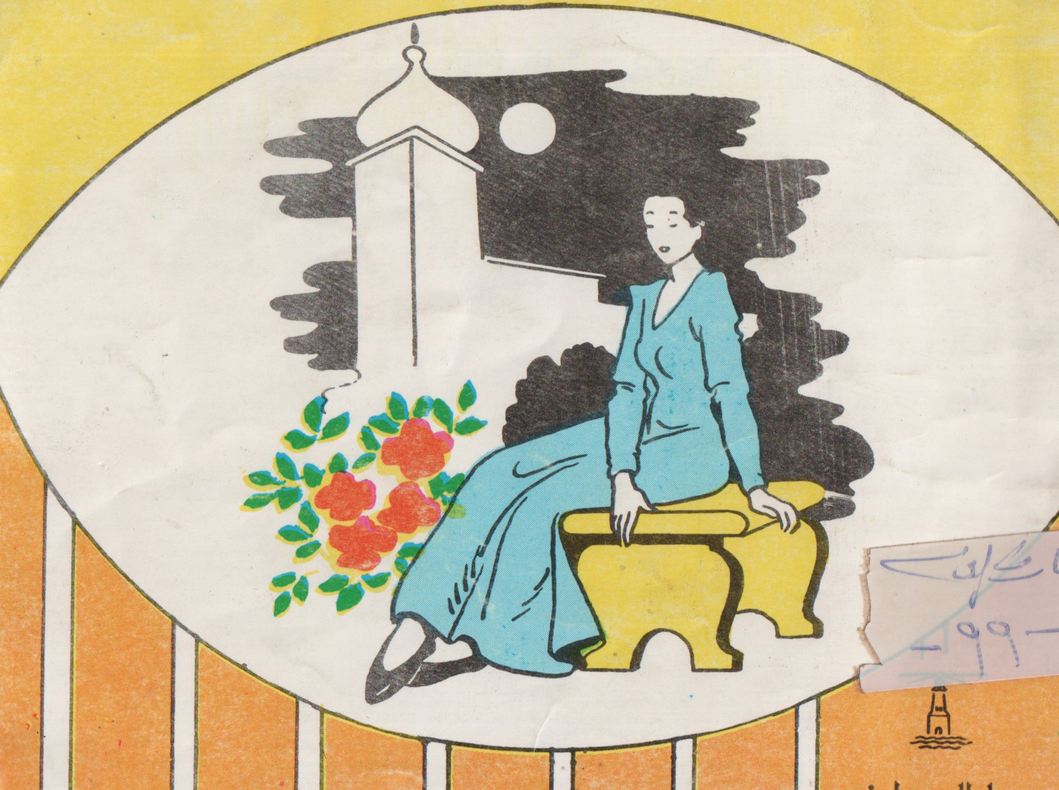
دار المعارف

المكتبة الحديثة للأطفال

محمد عطية الإبراشى

حارسة الورد

وقصص أخرى



دار المعارف

المكتبة الحديثة للأطفال

حارسة الورد
وقصص أخرى

بقلم

محمد عطية الابراشي

عميد مفتشي اللغة العربية سابقاً

الطبعة العاشرة

دار المعارف

الناشر : دار المعارف ١١١٩ كورنيش النيل القاهرة ج م ع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ المرسَلين ، سيدِنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . (وبعدُ) ؛ فيسرُّنى أن أقدمَ للنشء : « المكتبة الحديثة للأطفال » وهى صفوةٌ من القصصِ الشرقية والغربية ، راعيتُ فيها ميولَ الأطفال ورَغباتِهم ، وتفكيرَهم وخيالَهم .

وحِرْصًا منّى على أن أضعَ أمامَهم المثلَ الكاملَ للحياة الكاملة ، فى صورةٍ ملائمةٍ للطفولةِ ومداركِها ، تجتذبُ الطفلَ وتستهويه — عانيتُ بعضَ الجهدِ فى اختيارها ، حتى لقد كنت أقرأ الكتاب القصصىَّ فلا أتخيرُ منه — مع كثرة قصصِه — إلا قصةً واحدةً ؛ ولهذا سيجدُ أبناؤنا وبناتُنا فى هذه المجموعة ألوانًا من القصَصِ الخيالية ، والواقعية ، والاجتماعيةِ ، والخلقية ، والعلميةِ ، والأدبية ، والجغرافية ، والتاريخية .

إن كلَّ ما فى « المكتبة الحديثة للأطفال » يتصلُ بحياةِ الطفل كلَّ الاتصالِ ؛ ففيها يجدُ ما يرَغّبه فى القراءةِ ، ويشوقُه إلى الاستمرار فيها ؛ فما إن يبدأ أولَ قصةٍ حتى يَستهويه وضوحُها ، وسهولة لغتها ،

وجمالُ أسلوبها ، وحرصُها على المثُل العليا في النواحي الخلقية والاجتماعية والعاطفية ؛ فيمضيَ إلى نهايتها ، ومن هذه إلى تلك حتى ينتهيَ منها مشتاقًا إلى معاودَةِ قراءتها .

وقد راعيتُ فيها سهولةَ اللغةِ ، وجمالَ الأسلوبِ ، وشرحتُ من الكلمات اللغوية ماصعُبَ ، ووضَّحتُ بعض القصصِ بصورٍ واضحةٍ ؛ لتكونَ عونًا على فهم هذه القصص ، وليكتسبَ منها الطفلُ دقةَ الملاحظة ، وجمالَ الذوق .

وأعتقدُ أن الآباء والأمهاتِ ، والمدرسين والمدرساتِ ، سيجدون في هذه المجموعة المنتقاة خيرَ ما يُهدُون إلى أبنائهم وبناتهم من ثروة تُغذى عقلَ الطفل ، وتنمّي خياله ، وتسمو بروحه ، وتهذبُ وجدانَه ، وتربّي حواسَّه ، ويجد في قراءتها لذةً وسروراً يشعرُ بهما الكبارُ أنفسهم حين يقرءونَها .

وأرجو أن أكون بهذهِ « المكتبة » قد قمتُ بواجبي نحوَ الجيل الجديد في هذا العهد السَّعيد ، في جمهورية مصر العربية ، والشرق العربي .

أسأل الله التوفيقَ ، وتحقيقَ الآمال ، إنه سميعٌ مجيب .

محمد عطية الإبراشي

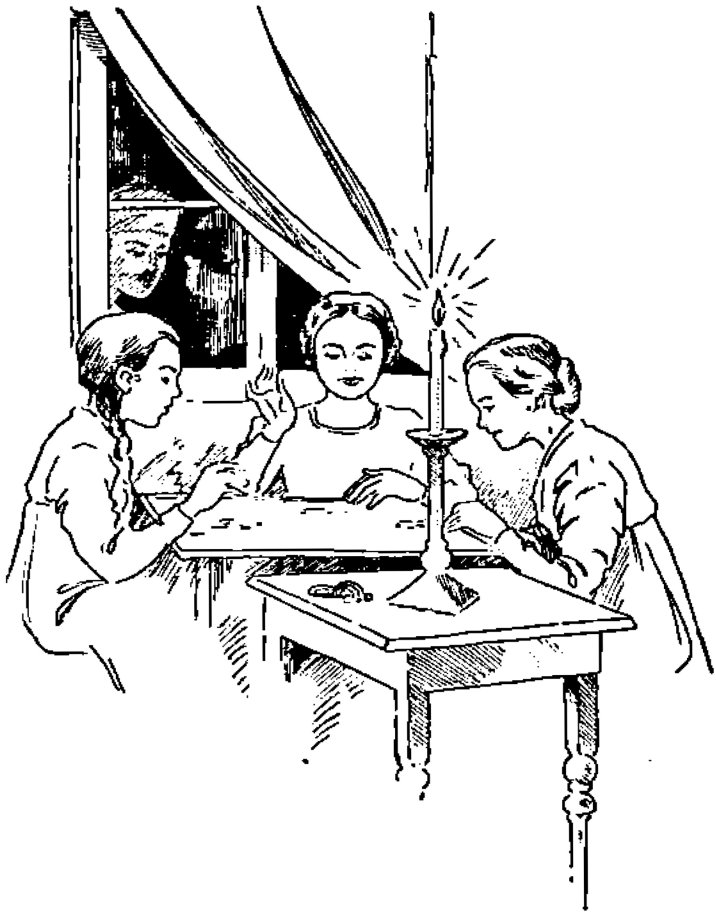
الْقِصَّة الأُولى

حارِسَةُ الْوَرْد

كان فى مِصرَ فى قديم الزمانِ أُسْرةٌ فقيرةٌ مُكوَّنة مِن ثلاثِ بناتٍ ، يَعِشْنَ فى دارٍ صغيرة ، وكانتِ البناتُ يَتيماتٍ ، ليسَ لهُنَّ أَحدٌ يُنفقُ عليهنَّ ، أو يُفكِّرُ فيهنَّ.وكُنَّ يقْضينَ النهارَ ومُعظمَ الليلِ يشتغِلْن بالتَّطريز ليكْسِبنَ مَعيشتَهن ، ويُنفِقْنَ على أَنفُسهِنَّ.

وذاتَ يوْمٍ ماتَتْ أمُّ المَلكِ ، فأَصدرَ الْملكُ أَمرَهُ بعدمِ إنارةِ الْمنازلِ ثلاثَ ليالٍ حُزناً عَليها . فصبرَت البناتُ الْمِسْكيناتُ أوَّلَ ليْلةٍ ، ولكنَّهنَّ لم يجِدْن الغِذاءَ الضروريَّ فى الصَّباحِ ، وبَعدَ أَن تشاوَرْن فى الأَمرِ قرَّرْنَ أَن يَبذُلْنَ جُهدهُنَّ فى ٱلْعمل طولَ النهارِ ، وإِذا لم يَتمَّ ٱلْعملُ يوقِدْنَ شَمعةً ، ويُخفين ضَوْءها ،

حتى يُتْمِمن عَمَلهُنَّ ، ويَتمكَّنَّ من شراءِ الطعامِ الضروريِّ لهُن .



الملك المتنكر ينظر من فتحات النافذة فيجد البنات يشتغلن والشمعة مضاءة

ولسوءِ الحظِّ خرجَ الْملكُ فى تلكَ الليْلةِ مُتنكِّرًا ؛ ليرَى بنفسِه مَن خالفَ أمرَه . وفى أثناءِ طَوافِه مرَّ بمنزلِ البناتِ الثلاثِ ، فأبصرَ نورًا ضئيلًا للشَّمعةِ مِن فتحاتِ النافذةِ ، فغَضِبَ أشدَّ الغَضَبِ ، ووقفَ ونظرَ فوجدَ البناتِ ٱلْمِسْكيناتِ يَشتَغلن بالتطريزِ ، وسمِعَ البنتَ الكُبرَى تقولُ : أَتَمنّى مِن ٱللهِ أن أتزوَّجَ حارساً مِن حُرَّاسِ ٱلْملكِ ؛ ليُنفقَ عَلَيَّ ويُريحَنى مِنْ تَعَبِ الحياةِ .

وقالتِ الوُسْطى : أَتَمنَّى أن أَتزَوَّجَ رجُلا من رجالِ القَصرِ يُلْبِسُنى الحريرَ ، ويُطعمنى ٱلْفَطيرَ .

وَقالتِ الصُّغرَى وهىَ حارسةُ الوَرْدِ : أنا لا أَرضَى إلَّا التَّزَوُّجَ بابنِ ٱلْملكِ نفسِهِ ، على شَرْطِ أَن يَحْملَنى على كَتِفِه ، ويَصعَدَ بى درجاتِ ٱلْقصر ، وعِند ذلك ضَحكَ ٱلْملِكُ ، وذهب عَنْهُ ٱلْغضب ، ورجَعَ إلى القَصرِ .



الملك يسأل البنات عن السبب فى مخالفتهن أمره

وفى الصّباحِ أَرسَلَ الْمَلكُ إلى الْبناتِ الثلاثِ ، فذهَبنَ إلى القَصر . ولمّا وَقفنَ أمامهُ سأَلَهنّ عنِ السببِ فى مُخالفتِهنّ أمرَهُ .

فقُلْنَ له إنهُنّ يتيماتٌ فقيراتٌ ؛ وليْس لهُنَّ أحدٌ يُنفِقُ عَليْهنّ ، أو يُفكِّرُ فيهنّ ، وأنهُنّ يَعملْنَ طولَ النهارِ ومُعظَمَ الليْلِ ، للحصولِ على الطَّعام الضروريِّ فى هذه الحياةِ ، فرَقّ قلبُهُ لهُنّ ، وتألّمَ لحالِهنّ ، وعفا عنهُنّ . وقد حَقّق اللهُ رَغبتَهُنّ ، فزوَّجَ الكُبرَى رئيسَ الْحَرَسِ ، والوُسْطى قائدَ البَحْريةِ . وجَعلَ الصُّغرى ــ وهيَ حارسةُ الوَردِ ــ وَصيفةً لابنَتِه ، وبَدّلَ اللهُ فَقرَهُنّ غِنًى ، وبؤسَهنّ سعادةً وهناءةً .

وعاشتْ حارسةُ الوَردِ معَ ابنةِ الْملكِ سَعيدةً مَسرورةً ، وكانَتْ تَنزلُ مَعها كلَّ يوْم إلى حديقةِ القَصرِ للتَّنزُّه بينَ الأَشجارِ ، والتمتُّع برؤْيةِ الأَزهارِ .

وذات ليْلَةٍ لَبِسَت حارسةُ الورْدِ ثَوْباً جَميلًا .



حارسة الورد تلبس ثوباً جميلاً وهي جالسة بين أشجار الورد في حديقة
في ليلة مقمرة وضوء القمر ينعكس عليه

ونزلتْ إلى الحديقةِ ، وجلستْ بيْنَ أشجارِ الورْدِ ، وَكان ضوءُ القمرِ ينعكِسُ عليها فيزيدُها حُسناً وجمالًا . وقد حدثَ أن الأميرَ ابنَ الملكِ كان يمرُّ بالحديقةِ ، فرآها وَأخذَ يَتحدث معَها ،وقدأُعجِبَ بها كلَّ الإعجاب وتمنَّى أن تكونَ زَوجةً له .

وحينما قابلَ الأميرُ والدتَهُ الملكةَ وَجدَتْه حزيناً . فسألَتْهُ عن سبب حُزنهِ ، فقالَ : إنِّى رأيتُ فتاةً جميلةً فى حديقةِ القصرِ ، وأتمنَّى أن تكونَ زوجةً لى .

فقالتْ لهُ : إذا وجدْتَها غدًا فاحمِلها وَأحضرها إلَيَّ هُنا . فأخذ ينتظرُ فى الحديقةِ حتى رآها جالسةً بين الأزهارِ ، فقرُبَ منها . وحَمَلها على كَتِفه . وقدْ حاولَت التخلُّصَ منه فلم تستطعْ ،وصَعِد بها حتى دخلَ على أُمِّه ، فوجد أباه هُناك ، فَخَجِل كلَّ الْخَجل ، وخافَ ، ولكنَّ أُمَّه هَدَّأَتْ بالَه وَأخبرت أباهُ بأَنَّ الأميرَ يتَمنَّى أن يتزوجَ «حارِسة الوردِ» .



حارسة الورد وقد خفضت عينيها

فالتفتَ إليها الملكُ ، وقالَ لها : إن الله يا ابنتى قد حقَّق رَغبَتَكِ ، وأجابَ سُؤَالَكِ ، وجَعل ابنى يَحْمِلكِ كما طلبْتِ . والآن سأَجعلُكِ زوجةً له ، فما رأْيُكِ ؟

فسكتتْ حارسةُ الوَرد حياءً ، وأَمرَ الملكُ بإعدادِ

حَفلةِ الزِّفافِ ، وتَمّ زواجُهما ، وعاشا فى سعادةٍ وصفاءٍ ، ورَزَقهما اللهُ أحسنَ البنينَ ، وأجملَ البناتِ.

أسئلة فى القصة :

(١) ممن تتكوّن هذه الأسرة ؟
(٢) أين يعيش أفرادها ؟ وبأى شىء يشتغلن ؟
(٣) لماذا أمر الملك بعدم إنارة المنازل ؟
(٤) هل استطاعت البنات أن يصبرن على هذا الأمر ؟
(٥) ماذا قررن ؟
(٦) لماذا خرج الملك متنكراً ؟ ومن أى شىء غضب ؟
(٧) ماذا سمع من البنت الكبرى ؟
(٨) ماذا قالت الوسطى ؟ وماذا قالت الصغرى ؟
(٩) لماذا أرسل الملك إلى البنات الثلاث ؟
(١٠) هل عفا عنهن الملك ؟
(١١) بمن تزوجت البنت الكبرى . وبمن تزوجت الوسطى ؟
(١٢) مع من عاشت حارسة الورد ؟ وماذا كانت وظيفتها ؟
(١٣) لماذا كانت تنزل إلى حديقة القصر ؟
(١٤) من كان يمر بالحديقة وحارسة الورد جالسة ؟
(١٥) ماذا تمنى الأمير ؟ وماذا قال لوالدته ؟
(١٦) هل نفذ الأمير كلام والدته ؟ ومن وجد عندها ؟
(١٧) ماذا قال الملك لحارسة الورد ؟
(١٨) قص تلك القصة بعبارة من عندك .

القِصَّةُ الثانِيَة

جزاءُ الإحسانِ

كان أعرابِىٌّ يَعيشُ فى كوخٍ صغيرٍ ، يَعبُد اللهَ ومعه زَوجتُهُ وأولادُه ، وعِنْدَهُ عَنزٌ يُطعِمُ أولادَه منْ لَبَنِها . وذاتَ يومٍ خرجَ المَلِكُ مُتَنَكِّرًا ومعه وزيرُه للنَّظرِ فى أحوالِ الرعيَّة . فوجَدَ الأعرابِىَّ وقالَ لهُ : السلامُ عليكَ يا شيخَ العربِ .

فقال الأعرابِىُّ :عَليكُمُ السلامُ ورحمةُ اللهِ وبركاتُه . تَفضَّلا ، أهلًا وسهلًا . أنتُما اليومَ ضيفاىَ . ثمَّ ذهَبَ إلى زوجِه وأخبرَهَا أن عندَه ضَيفينِ ، وسألها : ماذا نُعِدُّ لَهُما منَ الطعام ؟

فأجابتْ : نَذْبحُ العَنزَ ونَطبُخُها ، ونُقدِّمها طَعاماً لَهُما . فوافَقها على رَأْيِها . ثم أعدَّت المرأَةُ العربية

الطعامَ ، وأكلَ الضيفانِ معَ الأعرابىِّ الفقيرِ ، وحَمِدَ اللهَ كثيرًا ، وَشَكَرَ الملكُ للأعرابى كَرَمَه .



الأعرابى الفقير يقول للضيفين أهلا وسهلا ومرحبا بهما

أعجبَ الملكُ بكرَمِ الأعرابيِّ ، وقال فى نفسه : إنَّ هذا الرجُلَ لا يملكُ إلا عنزا ، وقد ذبَحها لنا ، وكانَ أَولادُه يتَعيَّشون منها . فلا بدَّ من أن أُهدِىَ إليه هَديَّةً ثمينةً . وقالَ الملكُ : أيُّها الأعرابيُّ . احضُرْ عندنا بالمسجد الذى فى المدينةِ وَقتَ صلاة الجُمعةِ .

ذهبَ الأعرابيُّ إلى المسجدِ يَوْمَ الجُمعةِ ، فرأى الملكَ يُصلِّى . ويَرْفعُ يده ويدعو اللهَ أن يرزُقهُ ، ورأى الوزيرَ يرفع يده ويطلبُ من الله أن يُحسِنَ إليه .

رجع الأعرابيُّ ولم يُقابلْ أحدًا . فسألَتهُ امرأته : ماذا فعلتَ ؟ فأجابَ : رأيتُ الرجلين يَطلبانِ من اللهِ ، فهلْ أطلبُ منْ إنسان مثلى ؟ ولماذا لا أطلبُ ما أشاءُ من الله المُنعِمِ على العالَم كُلِّه ؟

فقالَت زَوجه : ما أحسنَ الثقةَ باللهِ ، والإيمانَ به !

وحينما كانَ الأعرابيُّ يتحدّثُ معَ زوجِه هبَّتْ ريحٌ شديدةٌ هَدَمَتِ الكوخَ الذى يُقيمونَ بهِ ، فقالت

الزَّوجةُ : هيَّا بنا لِنَرْحَل من هذا المكان .

رحلَ الأَعرابىُّ وزَوجُه وأَولادُه إلى مكان آخرَ ، وأَخَذَ يحفِرُ الأَرضَ ليُقيمَ خيْمَته ، فوجَدَ حَلْقةً ، فَشَدَّها ،فوجَدَ كنزًا به كثيرٌ منَ المالِ . فقالَ لنَفسِه : هذا رزقٌ ساقَهُ اللهُ إلينا . وحَمِدَ الله على ما أنعمَ به عَليه ، وشكرَ لَهُ شُكرًا جَزيلًا لا نهايةَ له وبَنَى لنفسِه قصْرًا فخماً جَميلًا لا يَقِلُّ عن قصرِ الملكِ فى جَمالِه وسَعَته .

وذاتَ يومٍ كانَ الملكُ يَتحدَّثُ معَ وزيرِه ، فتذكَّرا الأَعرابىَّ الذى ذَبحَ لهما العَنزَ ، وكَرَمه مع شِدَّةِ فقرِه . وخَرج الملِكُ ومعه وزيرُه للبحثِ عَنه ، فرأَى الملكُ على بُعْدٍ قَصْرًا جميلًا ، وَاستمرَّا فى السَّيرِ حتى وصَلا إلى القَصرِ . سأَلَ الملكُ عنْ صاحبه ، فقيل له إنَّه قصْرُ رجُل أَعرابىٍّ كانَ فقيرًا ثم أَغناهُ اللهُ ، فسُرَّ الملكُ كلَّ السُّرورِ لتحسُّن حالِ الأَعرابىِّ ، وغِناهُ بعدَ فَقرِه .

قالَ الوزيرُ للمَلِك :لا يجوزُ أن يكونَ قصْرُ الأعرابىِّ أجملَ من قصر الملك ، ومنَ الواجبِ أَنْ نقتلَه ونأْخُذَه منه .

فقالَ الملكُ : ما الذى جَناهُ حتى نقتُله ؟

فأجابَ الوزيرُ : إنّه بَنى قصرًا أَجملَ من قَصر الملك ، فاذهَبْ إليه وقلْ له : إنكَ رأيتَ حُلماً واطلُبْ منه تفسيرَه . فإذا سَأَلكَ : ما الْحُلْم ؟ فقُلْ لَهُ : رأيتُ فى المنامِ أنى أقولُ : « عَوْ عَوْ عَوْ » ثلاثَ مَرّات ، فإذا فَسرهُ بأَنّ ذلك كَلبٌ ، فاحكُمْ عليه بالشَّنْق ، وخُذْ منه القصر .

ثم قابلَ الملكُ والوزيرُ الأعرابىَّ وقالاَ لَهُ : السَّلامُ عليك يا أعرابىُّ . فقالَ : عليكُمُ السلامُ ورحمةُ اللهِ وبركاتُه . وقدّمَ لهما الطعامَ ، فأَكلاَ وحَمِدا الله ، وشرِبا القَهْوَةَ . ثم قال الملِكُ للأَعرابىّ : لقد رأيتُ حُلماً لا بُدَّ من قيامِك بتفسيره .

فقال : وماذا رأيتَ فى الْحُلمِ يا سيِّدى ؟

فقالَ الملك : رأيتُ نفسِى وأنا نائمٌ أقولُ «عَوْ عَوْ عَوْ» ثلاثَ مرات .

فقال الأعرابىُّ :

أولُ عَوْ ، مَعناهُ : سُبحانَ مَن رَزَقَ الطيرَ فى الجَو .

ثانى عَوْ ، مَعناهُ : سُبحانَ من أنارَ الطريقَ أمامَ العاجِزِ بِلَا ضَوْء .

ثالث عَوْ ، مَعناهُ : لَعنَ الله جَارَ السَّوْءِ .

فأُعجِبَ الملكُ بإجابةِ الأعرابىِّ ، وأمرَ بشنق الوزيرِ ، وجَعَل الأعرابىَّ وزيرًا لَهُ .

أسئلة فى القصة :

(١) كيف كان الأعرابى يعيش ؟ (٢) كيف عامل الملك والوزير على غير معرفة ؟ (٣) ماذا قال الملك للأعرابى عند الافتراق ؟ (٤) هل قابل الأعرابى الملك فى المسجد ؟ لماذا ؟ (٥) لماذا لم يطلب الأعرابى من الملك شيئاً ؟ (٦) ماذا حدث لكوخ الأعرابى ؟ (٧) ما الذى وجده وهو يحفر الأرض ؟ (٨) بماذا شعر الملك حينما وجد قصر الأعرابى ؟ (٩) ما الذى قاله الوزير ؟ (١٠) ما رأيك فى قول الوزير ؟ (١١) كيف فسر الأعرابى الحلم ؟ (١٢) ماذا حدث للوزير ؟ لماذا؟ (١٣) ما الذى تستفيده من هذه القصة ؟

القِصَّة الثَّالِثَة

فلُورَنْس نَيْتِنجيل (١)

مؤسِّسةُ مِهنَةِ التمريضِ

فى الوقتِ الذى عادَ فيه «المِسْتِرْ نيْتِنجيل» وزوجَتُه من إيطاليا إلى إنجلترا مَوطنِهما الأَصلىِّ : وَمَعَهما بِنتاهما الصغيرتان . كانت إنجلترا تختلِفُ فى مناظِرها عما هىَ عليه اليومَ ، فلم تكنْ قد انتشَرَتْ بها وسائلُ الحضارةِ والمدنيَّة والعمران ؛ فقد كانَ المسافِرون يجتازون القَناةَ بمراكبَ شِراعية ، ويَقطعونَ الطريقَ من دُوفَرَ إلى لَندنَ فى عَجَلاتٍ تجرُّها الخيول.

كانت البنتُ الكبرى تُسَمَّى «بارْثينُونَ» تَشَبُّهًا باسمِ مَعبدٍ جَميل بأَثينا ، والصُّغرى تُسَمَّى «فلُورَنس» تَشَبُّهًا باسم مدينةٍ إيطاليةٍ وُلِدَتْ فيها . وقد عاشَتَا

(١) Florence Nightingale

سَعيدَ تِى الحظِّ فى بيتٍ ريفىٍّ جميل جَمعَ كلَّ وسائل الراحةِ.

أَخَذتْ «پارثينونُ» تُعنَى بملابِسها وزينَتها . ولكن أُختها الصُّغرى «فلُورنسَ» كانت مُولَعةً بالدُّمى والعَرائس . تُصْلِحُ ما كُسِرَ منها . وتَقومُ بتربيتها ، وتُلبِسُها ثياباً جَميلة . لتلعَبَ مع صديقاتها .

كانت «فلورَنسُ» تتمنَّى أَن تعيش فى جوٍّ هادىءٍ . كَستْهُ الطبيعةُ الساحرةُ بجمالِها . تحبُ سماعَ الطيورِ وهىَ تُغنِّى . والأَزهار على عِيدانها تبتسِمُ . والأَصوات الريفيةَ العذبَة تترنَّمُ وسطَ الحقولِ الخضراء. وكثيرًا ما كان يَبدو على مُحيَّاها الجميل . ووَجهها الناضرِ حمرةُ الخجَلِ والحياءِ . إذا شعرَتْ بأَنما تفعلُه أَوتقولُه يختلفُ عما يفعلُه أَو يقولُه غيرُها من الناسِ.

لم تذهَبِ الأُختانِ إلى المدرسةِ ، وكانَتا تَقضيان أَوقاتَهما مع من يَزورُ أُسرَتَهما فى المنزلِ من أَقاربِهما ، ولكنَّ الأَبَ قامَ بتعليمِ ٱبنتَيه فى المنزل . وٱشترَكَ

معهُما فى تَعلُّم التاريخِ واللغاتِ الإيطاليةِ والإغريقيةِ واللاتينيَّة ،فأقبلَتْبنتاهُعلىتلقِّى العلومِ بشَغَفٍ كبير، ومحبةٍ عظيمةٍ ، حتى إنَّ « فُلورنس » كانت تستيقظُ فى الساعةِ الرابعةِ من الصباح المبكرِ تعِدُّ دُروسَها .

ولما بَلغَتْ « فُلورَنسُ » من العمرِ سَبعَ عشْرةَ سنةً سافرتْ إلى الخارج مع أُسرتِها لزيارةٍ بعض مُدُنِ البحر الأَبيضِ المتوسِّط ، فزارتْ مدينةَ « فُلورَنسَ » حيثُ وُلِدَت ، كما أَقامتْ فى سُويسرة ، ورأَت جبالَها المُرْتفِعةَ ، وتمتعتْ بمناظرِها الطبيعيةِ الجميلةِ . ثمّ رحَلَتْ إلى باريسِ فمكثَتْ بها عِدَّةَ أَسابيعَ ، قابلَتْ فيها الأُسرةُ كثيرين منَ الأَصدقاء ، واشتركتْ معهم فى حديثِهم وحياتِهم الاجتماعية ، فأُعجبوا بالأُختين الإِنجليزيَّتين إعجاباً كبيرًا ، ثُمّ رَجَعت الأُسرةُ إلى إنجلترا فعاشتْ عِيشةً كلها سرورٌ وهناءةٌ .

كانتْ « فلورنسُ » طويلةَ القامةِ ، نحيفةَ

الجسم جميلةَ الشَّعْرِ ، بَرّاقةَ العينين ، كثيرةَ التفكير ؛ مَن رآها أُعجِبَ بها ، وقَدَّرَها حق قدْرها . لم تَجدْ صُعوبةً فى القيامِ بأىِّ عَملٍ شاقٍّ ، ولم تكنْ سعيدةً بحياتها ؛ فكثيرًا ما ظَهرَ على ملامِح وجهها التفكيرُ العميق ، والعُبوسُ أحياناً ؛ لأنَّها أرادتْ أن تقومَ بعمَل هامٍّ نافعٍ فى الحياة. لقد عرَفتْ أن العالَمَ مملوءٌ بالفقرِ والمرضِ ، وقد شغلتْ كلُّ فتاةٍ غَنيَّةٍ نَفْسَها فى ذلكَ الحينِ بزينتِها وحُضورِ المحافِل ، والضربِ على المعزَفِ ، وجَوْب الأَقطارِ النائيةِ البعيدة ، ولكنَّ « فلورَنْس » لنْ تحبَّ تلكَ الحياةَ السَّهلةَ التى يَحياها الأَثرياءُ والأَغنياءُ . تريدُ أَن تَخدُمَ الإِنسانيةَ ، تريدُ أَن تهَبَ حياتَها للفقراءِ والمرْضى بَدَلًا من أَن تلهُوَ وتلعبَ.

شُغلَتْ « فلورنْس » من صِغَرِها بالتمريضِ ؛ فكثيرًا ما كانتْ تَتخيلُ أَن دُماها ولُعبَها مريضةٌ فى حاجة إلى التمريضِ ، أَو حدَثتْ لها حوادثُ أَصابتْ

بعضَ أعضائِها ؛ فهى فى حاجةٍ إلى ضِمادات ، ولما كبِرَتْ أخذَتْ تزورُ الأكْواخَ القريبةَ من بيتِها ، وتُمرِّضُ كلَّ مريضٍ تجدُه فيها . ومِنَ العجَبِ أنَّ أوَّل مريضٍ صادفتْهُ كلبٌ كُسِرَتْ رِجْلُه . وتُرِكَ لِيموت ، ولكنَّ «فلورنسَ» أخذَتْها الشفقةُ به . فوضعتِ العظْمةَ فى مكانها ، وضمَّدتْ جِراحهُ ، وسَرعانَ ما تماثلَ الكلبُ للشفاء.

اهتمتْ «فلورنسُ» بالتمريضِ اهتماماً زائدًا ، حتى إنها حرَمتْ نفسَها زيارة الأقارب والأصدقاء، وذهبَتْ إلى المستشفياتِ لترَى كيفَ يُعاملُ المَرْضى . فتألَّمتْ كثيراً مما رأَتْ ؛ لأنَّ الممرضاتِ فى ذلك الوقتِ كُنَّ جاهلاتٍ لا يعرفنَ عن التمريض كثيراً أو قليلًا ، مُتصفاتٍ بالكسَلِ والقَذارةِ والإهمالِ، ولعدمِ عنايتهنَّ بالنظافةِ كثُرَت الوفاةُ بينَ المَرْضى . شَعَرَتْ «فلورنسُ» بأنَّ التعليمَ ضروريٌّ للمُمرِّضةِ ،

أرادَت أن تزوِّدَ نفسَها بعُلوم التمريض ، فقالتْ لصديقِها « الدكتور هَاو » إنى صَمَّمتُ على دراسةِ فنِّ التمريضِ ، ووَهَبتُ حياتى له ، فَهل هذا يُقلِّلُ من كرامتى وكرامةِ الأُسْرةِ ؟

فأَجاب الدكتور « هاو » : إن التمريضَ واجبٌ إنسانىٌّ يزيدُ صاحبَه شرفاً وسُمواًّ ورِفْعة .

ولكنَّ أُمَّها وأُختَها كانتَا تنظُرانِ إلى التمريضِ نظرةَ امتهانٍ واحتقار ؛ إذ قالتَا : إن التمريضَ لا يَليقُ بفتاةٍ مُثقَّفة مُتعلِّمةٍ تربَّت أَحسنَ تربية .

لم يرُقْ ذلكَ الرأىُ فى نظرِ « فلورنسَ » ، وتألَّمتْ لمعارضةِ أُمِّها وأُختها لها فى تَعلُّم فنِّ التمريضِ ، فاضطرَّت إلى الانتظارِ فى بيتها سِتَّ سَنوات طوالٍ مملوءةٍ بأَنواعِ المسرّاتِ ، ولكنها لم تكنْ لترغب فى هذا النَّوْعِ من الحياةِ .

وأَخيراً فى سنة ١٨٥٠م سَنحَتْ لها الفُرصةُ لإشباع

رَغبتِها وقد بَلغتْ من العُمر ثلاثين سنةً . مَرضَتْ أُختُها . اضطُرَّتْ للسفرِ إلى ألمانيا للاستشفاء فى مُستشفَياتها . فصحِبتها « فلورنس » وأُمُّها .

والآنَ قد كبِرتْ « فلورنس » ، وأصبحتْ فتاةً حازمةً قويةَ الإرادةِ والعزيمة ، فصمَّمتْ على أن تَترُكَ أُمَّها وأُختَها وتذهبَ إلى بلدة تُسمَّى « قيصَر ورْث » بها مُستشفًى ، ومَدرسةٌ للأَطفال ، وملجأٌ للرجالِ والنساءِ الذين يخرجون من السجن .

كانت المرضاتُ والمعلماتُ ومُديراتُ الملجإ يعشنَ معاً ، وكنَّ يَقُمْنَ بهذا العملِ من التعليمِ والتمريضِ وخدمةِ المَسجونينَ خِدمةً للإنسانية ، وإجابةً لشعورٍ دينىٍّ ، شعورِ العَطفِ نحوَ الفقراءِ والضعفاء والمرضَى .

وقد كانتْ حياةُ هؤُلاءِ النساء شاقةً ، يَسْتَيقظْنَ فى الساعةِ الخامسةِ كلَّ صباح ، ويتناوَلْنَ طعاماً زهيداً ثمّ يبدأْنَ عَملَهُنَّ . ومع هذا العَناءِ والتَّعب لَمْ تَر

« فلورنس » بُدًّا من اللّحاقِ بالمستشفَى ، وأَخذتْ تتعلمُ فنَّ التمريضِ وكلها رَغبةٌ وميلٌ . وكانت مسرورةً لما تقومُ بهِ مِن خدمةِ المَرْضَى من بَنِى الإنسانِ ، ثم رَجَعَتْ إلى بَاريسَ وقَضَتْ وقتَها فى التعلمِ ، فلمْ تجِد الأُمُّ والأُختُ فرصةً للمعارَضةِ . ولكنهما شَعَرتا بـأَنها تختلفُ عنهما ، فتركتَاها دونَ أَن تَشتركا معها فى ذلكَ العملِ الإنسانىِّ . وأَخيرًا عادَتْ إلى إنجلترا لتحسينِ حالِ المستشفياتِ ، وتعليمِ المُمَرِّضاتِ كيفَ يُعامِلْنَ المَرضَى ويُعالِجْنَهم .

وبَينما هى مَشغولةٌ بهذَا العمل الجليل إذْ نَشَرت الصحُفُ فى خَريفِ سنة ١٨٥٤ م ، أَخبارًا مُحْزِنةً مُؤَثِّرةً : آلمتِ الناسَ جميعاً ، فَظَهَرَ الْحُزنُ على وجوههم بَعْدَ قِراءَةِ تلكَ الأَخبارِ المُروِّعة ، فَقد كانَتْ إنجلترا وفَرَنسا فى حَربٍ ضد روسيا ، واشتدَّتِ المَوقِعةُ على نَهرِ « أَلْمَى » فكتَب إنجليزىٌّ من القسطنطينية يَقولُ :

إنَّ الجنودَ الجرحَى يُقاسونَ آلاماً مُرةً ، ويَهلِكونَ ضَحيةَ العمليات التى تجرَى لهم بغيرِ عنايةٍ ولا رفقٍ ، وَيموتونَ تحتَ تأثيرِ الإهمالِ ؛ لأنهم لا يجدون مُمرِّضاتٍ يُجِدنَ التمريضَ ، وتَضميدَ الْجُروح . خَجِلَ الإنجليزُ فى إنجلترا وامتلأُوا غضباً وحُزْناً ،وأَخَذَ الكلُّ يفكِّرُ فيما يَجبُ أَن يُفعَلَ .

كان معروفاً فى ذٰلكِ الحينِ أَنَّ «فُلورَنسَ نَيْتِنْجيل» هى أَفضلُ سيدةٍ فى إنجلترا تُجيدُ فنَّ التمريض ، فطلبَتْ منها وزارةُ الحربيةِ أن تُلبِّيَ نداءَ الوطن ، وتسافرَ بنفسِها لإنقاذِ أَبنائِه ، فاستعانَتْ بالفَتَياتِ المتعلماتِ ممن مارسن التمريضَ ، وأَخذت مَعها نحوَ أَربعينَ ممرِّضةً . وصَحِبَتْهُنَّ إلى « سكوتارِى »[1] فى سنة ١٨٥٤ م .

أَقبلتْ « فلورنسُ » عَلَى هذا العملِ الجليلِ بجُرأَةٍ

---

(١) Scutàri

وشجاعةٍ نادرةٍ ، على الرغمِ منْ أَنَّ الممرضاتِ اللاتِى



فلورنس نيتنجيل مؤسسة مهنة التمريض

سافَرْنَ مَعهَا تَنقُصُهنَّ الْخِبرةُ والدِّرايةُ والتّمرينُ الكافى. ولم تكُنْ واثقةً بتعاونِهِنَّ معها ، وإطاعتِهِنَّ أوامرها ، ومُساعدةِ ضُباطِ الجيشِ لها فى تَسهيلِ مُهمتها التى انتُدبَتْ من أجلِها . وقد صدَقَ ظنُّها : إذ حدثَ ذات مرةٍ أَن المَرضَى كانوا فى حاجةٍ شَديدَة إلى الدَّواء . فعلِمَتْ «فلورنس» أَن العقاقيرَ والأَدويةَ اللازمةَ مُودَعةٌ فى أَحدِ المخازن ، فطلبت من الضابطِ الصحىِّ أَن يَفتحَه . ولكنّه رفضَ حتى يحصُلَ على أَمرٍ رسمىٍّ من القيادة العُليا ، فلم تنتظِرْ «فلورنس نيتنجيل» ما يَصدُرُ من الأوامر ، وأمرَتْ بفتحِ أَبوابِ المَخْزَنِ ، ولم تُبالِ بما يَحدُثُ لها من النتائجِ المخالِفةِ للتعليماتِ مُؤثِرَةً حاجةَ الجرحَى والمَرضَى ، ومصلحةَ الوطنِ على كلِّ شىءٍ آخرَ .

وفى مُدَّةِ أُسبوعَينِ من سَفرها وصَلتْ إلى القسطنطينية ، فوجدتْ أَن حالةَ الجرحَى لا تُطاقُ ؛ فهى أَفظعُ مما كانَتْ تَتَخَيَّلُ ، حيثُ الأُمورُ الصحيةُ مُهمَلةٌ ،

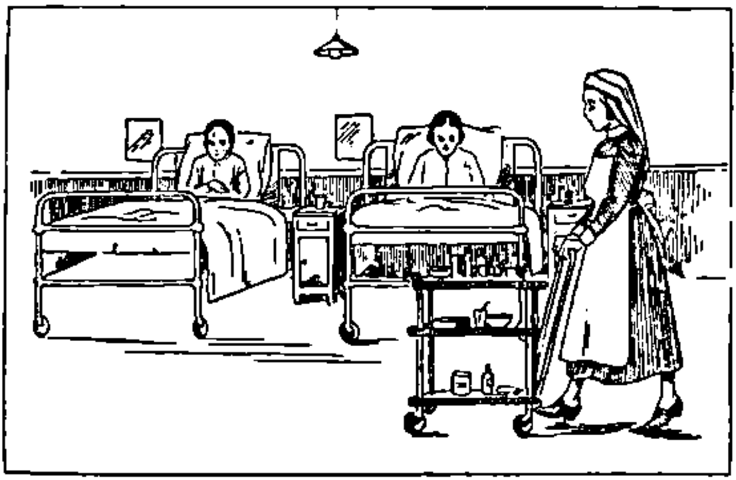
والعَدْوَى مُنْتشِرةٌ ، والجَهلُ بالوسائلِ الصحيةِ فادحٌ .

كثُرَ العَملُ أمامها ، ولكِنَّها كانَتْ تحبُّ العملَ . وَجَدتْ مُستشفى الجنودِ قَذِرًا مُمتلئاً بالفِئرانِ ، والأَسِرّةَ ذاتَ مُلاءاتٍ مُتّسِخةٍ ، ولَيْسَ عِنْدَ الجَرحَى الذين يَبرءُونَ من جِراحهم ملابِسُ يَلْبَسونَها . ابتدأَت تعمَلُ بنَفسِها ، فطهَّرت المُسْتَشْفَى من الفِئْرانِ ، ونَظَّفَتْ أَرضَ غرَفهِ ، واستحضرَت مُلاءاتٍ جديدةً للأَسرَّة ، وملابسَ للجنودِ المُصَابينَ ، وقد استخدمت زَوجاتِ الجنودِ فى غسلِ الملابس ، فسُرِرْنَ بهذا العمل الإنسانىِّ ، واشترتْ مواقدَ لطهْيِ طعامٍ يُناسِبُ المَرضَى .

كان الكلُّ مُعجَباً بنشاطِها ، وأخذت المُمرِّضاتُ يَتذَمَّرْنَ من النظامِ القاسِى الذى وضَعَتْه ، ولكنها استمرَّتْ فى طَريقها لتخفيفِ وَيلاتِ الجَرحى ، وتنظيفِ أَسِرَّتهِمْ ، وإعداد ملابِسهم، وتطهير حُجراتِهِم وحَتَّمتْ عَلَى كلِّ مُمرِّضة أن تلبَسَ ملابسَ نظيفةً ،

وميدعةً وغطاءً للرأس . كانت مَرْهوبَةَ الجانب ،مُطاعةَ الأَمر . فلم يمض وقتٌ طويلٌ ، حتى مُلِئت مَخازنُ المُسْتَشْفَى ، وأَخذتِ المُمرضاتُ يُقلِّدْنَها فى نشاطِها وعطفها وعنايتِها ، وشَفقتِها ومَهارَتِها . وبفضل عنايتها الدائمةِ أَنقذت حياةَ آلافٍ كثيرةٍ من الجنود ؛ إذ كانتْ نسبةُ الوفَياتِ حيناً وصَلت ٤٢٪ ، ولكنْ بَعدَ تسلُّمها العملَ نزلَتْ تلك النِّسْبَةُ إلى ٢٪ .

والآن قد تَغيرَت حالةُ الجَرحَي عما كانتْ عليه



العناية بالمرضى والنظافة فى المستشفى من آثار فلورنس نيتنجيل

قَبلًا ، وشَعر الجميعُ بِعَطفِها ، وشدةِ رعايتِها بمَن اشتدَّ بهِ الألَمُ . ومن شَعر بالوحدةِ ، ومن فكَّرَ فى أَهلِه وذَويه ، وكانت تسرِّى عن المَرضى سُقمَهم ومَرَضَهُم . وتحدِّث كلّ مريضٍ ، وتُواسِى كل حزين ، حتى نسِى الجميعُ ما لَحِقَهم من آلا م . وأَحبُّوها حُبًّا كثيرًا .وأَطاعوهاطَاعةً عَمياءَ. كما يُطيعُ الأَطفال أُمَّهاتِهم.

ومع كثرة ما كانتْ تَقومُ به من العَمل لم يظهَرْ عليها التعبُ ؛ ففى أَثناء النهارِ تَنتقِلُ من حُجرةٍ إلى أُخرى بالمستشفى تُوزِّعُ الأَدويةَ والأَطعمةَ . وتُغيرُ المُلاءَاتِ ، وتُمرِّضُ المَرْضى . وفى الليل تمرُّ بالمَرْضى بين لَحظَةٍ وأُخرَى ، لتتأَكدَ من راحتهم ، وترى مَن فى حاجةٍ إلى المساعدة والعلاج . مُمْسِكةً بيدِها مصباحاً صغيرًا ، لترى طريقَها فى الظلامِ ؛ ولهذا أَطلَقوا عليها اسمَ «السيِّدة ذات المِصباح» .

ولكىْ تُذهِبَ عن الجنودِ وَحشةَ الغُربةِ والبُعدِ

عن الأهل والأقرباء ، كانتْ تُعطيهم أوراقاً وطوابعَ بريديةً ، وكلَّفتْهُم الكتابةَ إلى ذَويهم وأصدقائهم بإنجلترا ، ولم يُفَكِّرْ أحدٌ قبلَها في ذلك العملِ المَجيد. سَمعت الأُمَّهاتُ والزوجاتُ في إنجلترا بأخبارها ، فأَخَذْن يكتُبنَ إليها للسؤال عَن أبنائهنّ أو أزواجهنّ أو أقاربهنّ ، فكانت تشتغلُ نَهارًا ، وتجيبُ عن الرسائل ليلاً ، رغمَ أن بَعضَ تلك الردودِ مُحزنةٌ في بعض الأحيان .

ومن العجيب أن اسمها باللغة الإنجليزيةِ يَحتوى عَلى حروفٍ تتكوَّنُ منها هذه العبارةُ : «حُومى يَا مَلَكَ الرحمةِ ».

ضعفتْ صِحَّتها لكثرةِ الإجهادِ ، ومع ذلكَ استمرتْ في عَمَلِها ، ولم تتركُ التمريضَ مَدَى الحياةِ. إن اسمَ « فُلورَنسَ نَيْتِنْجيل » معروفٌ في كلِّ بيتٍ إنجليزيٍّ . وفي كلِّ بيتٍ قدِّرتْ أعمالُها النبيلةُ . وقد جمعَ لها في ذاتِ يوم مَبلغ خمسين ألفَ جنيه هدية لها . وأرسلَ أَحدُ رجالِ الحربيةِ لإحضارها من

« سكوتارى »[١] إلى إنجلترا ، وقد أُعِدَّت لها المعدات لاستقبالِها عِنْدَ وُصولِها ، ولكنَّها وصَلَتْ بهدوءٍ دونَ أن يشعُرَ بها أَحدٌ ، وشكَرتْ لإنجلترا تلكَ الهديةَ ، وأَمَرتْ بأَن يُؤَسَّسَ بها «مَعهد نيتنجيل» لتعليم الممرِّضاتِ ،وهوأولُ مَعهدٍ من مئاتِ المعاهدِ التى بها الآنَ.

أَخذتْ صِحَّتُها تتدهوَرُ وَتضعفُ شيئاً فشيئاً ؛ لمَا لقيتْهُ من متاعبَ فى أَثناءِ التمريضِ . وقد أُنعِمَ عليها بكثيرٍ من الإنعامات والرُّتب ، ولكنها لم تكُنْ فى حاجةٍ إلى الشُّهرة ؛ فقد منحتْ نفسَها ما أرادَتْ من أَلقابِ الشرفِ ، وأَنعمَ عليها الملكُ إدواردُ السابع برتبةِ الجدارةِ ، ولِكِبَرِ سِنِّها لم تَسْتطِعْ أَن تذهبَ لتَسلُّمِهِ . فأُرسِلَ إليها .

قضتْ حياتَها فى مؤاساةِ البائسينَ . وتمريضِ الجَرحَى والمساكين ، ومساعدةِ الضعفاء والمتألمينَ ، واستمرَّت هكذا حتى آخر يوم من حَياتِها .

---

(١) Scutari

أسئلة فى القصة :

(١) صف حالة إنجلترا فى الأيام التى انتقل إليها « المستر نتنجيل » مع زوجته وبنتيه .

(٢) ما الذى كانت تعنى به كل من الأختين « فلورنس وپارثينون » ؟

(٣) ما الذى كانت تتمناه « فلورنس » ؟

(٤) أين كانت تتعلم الأختان ؟

(٥) إلى أين سافرت « فلورنس » حين بلغت من العمر سبع عشرة سنة ؟

(٦) ما صفات الفتاة « فلورنس » ؟ وما الذى كان يبدو على ملامح وجهها ؟

(٧) ما الذى شغلت به « فلورنس » من صغرها ؟ وما الأسباب التى حملتها على ذلك ؟

(٨) ما أول مريض صادفته ؟ وما الذى قامت به من أجله ؟

(٩) من كان يعارض « فلورنس » فى تعلم فن التمريض ؟ ولماذا ؟

(١٠) متى سنحت الفرصة لفلورنس لتحقيق رغبتها فى تعلم فن التمريض؟

(١١) ما الذى نشرته الصحف فى خريف سنة ١٨٥٤ م ؟

(١٢) ماذا فعلت « فلورنس » حين وصلت إلى القسطنطينية ؟

(١٣) لماذا انخفضت نسبة وفيات الجنود من ٤٢ فى المائة إلى ٢ فى المائة ؟

(١٤) كيف قضت « فلورنس » حياتها ؟ وماذا فعلت بالهدية التى قدمت لها ؟

(١٥) اذكر هذه القصة بعبارة صحيحة من عندك .

القِصَّة الرابعة

مارى ليُون

المدرَّسَة الأَمريكيَّة المخلِصة

عاشَت «مارى ليونُ» مع أُمِّها الأَرْمَلةِ بَعدَ وَفاةِ أَبيها فى مزرَعَةٍ من المزارعِ المُرتفعةِ بين التِّلالِ . وكان لها أَخٌ وخَمْسُ أَخوَات . أَخَذتْ هذه الأُسرَةُ تبْذُلُ مجهودًا شاقًّا فى سبيل تعهُّدِ تلك المزْرَعةِ الجبليةِ واستِثمارِها . وكان من الصعبِ أَن يَكفىَ ما تُنتِجُه من غَلَّاتٍ ستَّ بنات وغلاماً . ولكِنَّ نفسَ الأُمِّ كانت تفيضُ شجاعةً وطمُوحاً ، وكانَ الأَطفالُ محبِّين للعملِ يحرُسون المزرعةَ من الذئبِ ، ويجِدون فى عَمَلِهم لَذَّةً وسرورًا .

لم تكن هناك مدرسةٌ قريبةٌ من المَزرعةِ ، فكان الأَطفال يُضْطَرُّونَ إلى المشى مسافةً طويلةً للتَّعَلُّم

بمدرسةِ «أشْفِيلْد» ، وهى تبعُدُ ميلين عن المزرعةِ ، وفى تلك المدرسة أَظْهرت «مارى ليونُ» ذكاءها ومواهبها وفاقتْ كل فتاةٍ فى إجادةِ هِجاءِ الكلِماتِ ، وتعلَّمتْ قواعد اللغةِ الإنجليزيةِ فى وقتٍ قصيرٍ جدًّا . إذا عرضت عليها مَسألةٌ حسابيَّةٌ أجابت عنها بسرعة تفوقُ كلَّ سرعةٍ مع الدِّقَّةِ وحُسْنِ النظام فى العملِ . فكانت فخرَ المدرسةِ ومَوْضعَ ثِقتها وآمالِها ، وفاقت الجميعَ بجدِّها وإخلاصِها ، عَرفتْ قيمةَ الوقت ، وَأَدرَكتْ أَن من الخطإِ إضاعتَه ، ولهذا شَغَلت نفسَها دائماً بالقراءةِ والدِّراسةِ . والعملِ فى المَزْرعةِ ، ومُساعدةِ أُمِّها فى البيت . وقد اتفقَت أخواتها الكبيراتُ على أن تكونَ «مارى» هى البنت المثقَّفَة فى الأُسرةِ . وفى الوقتِ الذى كانت تفكِّرُ فيه فى أن تنالَ أكبرَ مِقْدارٍ من الثَّقافةِ والتعليمِ كانت تفكِّرُ كثيرًا فى مساعَدةِ غيرها من بَنى الإنسانِ .

وحينما بلغت من العمرِ ثلاثَ عشرةَ سنةً حدَثَ حادثٌ غيَّر أَحوالَ الأُسرةِ ، إذ تزوَّجَت أُمُّها ثانيةً ، وذهبتْ لتعيشَ مع زَوْجِها الجديدِ ، فى بلد بعيدٍ ، وتَفرَّقت الأَخواتُ الكبيراتُ . ولم يبْقَ فى البيت سوى « مارى » وأَخيها ، فعُنِيَ الأَخُ بالمزْرعةِ ، واعتاد أن يدفع لمارى ريالًا فى الأُسبوعِ ؛ كى تُنْفِق منه على البيتِ .

وبعدَ قليلٍ تزوَّجَ أَخوها ، واستمرَّت « مارى » تساعِدُ فى إدارة المنزِلِ ، وأَخذت تَغزِلُ وتنْسُجُ للجيران ما يشاءون من الغزل والنسيج . فربحَتْ من المال ما يكفيها ضروريَّاتِ الحياةِ . ولقد حدَث أن احتاجَ سكَّانُ القريةِ(١) إلى معلِّمةٍ تعلِّم فى مدرسة صيْفيَّةٍ فى تلك القرية . فتقدَّمت « مارى ليون » بنفسها لهذه الوظيفةِ ، ولم يَزِدْ عمرُها إذ ذاك على ستِّ عشرة سنة ،

---

(١) هى قرية « شلبيرن فولز » .

غير أنها كانت تبْدُو فى هذه السِّن على جانب كبير من الوقارِ والحِشْمة ، وحسنِ الأَدبِ ، وكرم الخُلق . وكانت مدةُ الدراسةِ الصيفيّة بتلك المدرسةِ عشرين أُسبوعاً ، وقد حُدِّدَ لها خمسةٌ وسبعون « سنتيماً » فى الأُسبوع ، مع السكنى وتناوُلِ الطعامِ والمعيشةِ فى المدرسة . فنالت من الأَجرِ خمسةَ عشر ريالًا فى خمسةِ أَشهر وليس ذلك بالكثير ، ولكنَّ مجلسَ إدارةِ تلك المدرسةِ قرَّر أَن ذلك يكفى فتاةً مِثلَها .

أَخذت « مارى » تقتصِدُ فى معيشتها ؛ كى تستطيع الانتفاعَ بما توفِّرُه فى أَوقاتِ الشِّدَّة . وحينما بلغَت من العمرِ عشرين سنةً أَحْصتْ نقودَها فوجدت أَنها مع الاقتصادِ فى المعيشةِ والحياةِ تستطيعُ أَن تدفعَ لنفسها المصروفاتِ المدرسيةَ بضعةَ أَشهر فى مدرسةٍ داخليَّةٍ ؛ فقد كانت آمالُها فى ذلك الوقت أَن تتعلَّم التعليمَ الحقَّ ، وتُكمِّلَ نفسها بالثقافةِ العاليةِ ، والعلم

النافِع ، حتى تكونَ معلِّمةً ماهرةً فى التعليم . وقد ساعَدَتْها الأَحوالُ فى أن يتحقَّق حُلْمُها فى الحياةِ ، فلَحِقت «مارى ليون» بإحدى مدارسِ البناتِ فى «أَشفيلد» ، وأَخذت تعملُ بجدٍّ وإخلاصٍ فى المدرسةِ وشعرَت بأَن نقودَها لن تكفيَها مدةً طويلةً ،فضاعفت عملَها ، وحرمت نفسَها كلَّ راحة تحتاجُ إليها حتى تبلغَ آمالَها فى الدراسةِ . فشعرَ الجميعُ بذكائها ونشاطِها ، وجِدِّها وإخلاصِها ، وتقدَّمت تقدُّماً مُحَسَّاً ولم يمْضِ وقتٌ طويلٌ حتى كانت فى مُقدمةِ زميلاتِها ، وقد شهِدت لها الطالباتُ والمدرِّساتُ بأَنها أَحسنُ طالبة فى المدرسةِ ذكاءً وعملاً ، ومثابرةً وخُلقاً ، ودقَّةً ونِظاماً .

استمرَّت «مارى ليون» تقومُ بالتعليمِ فى مدرسة صيفيَّةٍ ، لتكسِبَ نَفقاتِ نفسها ومصروفاتِها المدرسيةَ فى السنواتِ الدراسيةِ ؛ ففى الصيفِ تقومُ بالتدريس ، وفى بدءِ الدراسة تذهبُ إلى المدرسةِ لتُكَمِّلَ ثقافتَها

وتعليمَها . وهكذا استمرَّت خمسَ سنوات تعملُ العامَ كلَّه ، تُعلِّم حيناً ، وتتعلَّمُ أحياناً ، فى أوقاتٍ قاسيةٍ ، وأحوالٍ غيرِ مُشجعةٍ . وبعد أن أتمّتْ دراستَها اختيرت لتكونَ مساعدةً فى مدرسةِ « ساندَرْسُون » بمدينة « أشفيلد » . وقد كانت العادةُ أن يبحثَ المعلمون فى الولاياتِ المتحدةِ بأمريكا بعد تخرُّجِهم فى مدارسِ المعلمين أو المعلماتِ عن أمكنة فى المدارسِ ليقوموا بالتَّدريسِ فيها ، ولكنّ « مارى ليون » لم تَحْتجْ إلى البحْثِ ؛ فقد عُرِضَ عليها كثيرٌ من الوظائف ، فقبلتْ أن تكونَ معلمةً بالمدرسةِ التى تخرَّجت فيها .

قامت بعد ذلك بشىءٍ لم يُسمَعْ به ؛ فقد ذهبَت إلى أحدِ الأساتذةِ فى كلية « أمْهرسْت » ورغَّبت إليه أن يُعْطيَها دروساً فى الكيمياء ؛ لكى تستطيعَ أن تُعلمَ تلميذاتها هذا العلمَ ، فعَجِبَ كثيرٌ من الناس مما صنَعت ، وأخذوا يتساءلون ما للفتاةِ وتعَلُّم الطبيعةِ

والكيمياءِ ؟ ولم يكُن فى الولايات المتحدةِ بأمريكا فى ذلك الوقتِ كلِّياتٌ للبناتِ تستطيعُ فيها الفتاةُ أن تتعلَّم ما تشاءُ كما يتعلَّمُ الفتى . ولم يكُن هناك غيرُ مدارسَ للبنات تتعلَّم فيها بناتُ الأغنياءِ تعلُّماً ثقافيًّا ، فيدْرُسْنَ قليلًا من التاريخ ، وقليلًا من الشعر ، وقِسطاً من اللغاتِ الفرنسيَّة والإغريقيَّة واللاتينيّة . هذا كلُّ ما كانت الفتاة تتعلَّمه فى ذلك الحين . وكان يُنظرُ إلى الفكرةِ فى إعدادِ الفتاةِ لأىِّ عملٍ نافعٍ أو دراسةِ العلومِ والطبيعةِ والكيمياءِ نظْرَةَ نقْدٍ وسُخْريَّةٍ .

ولكنّ ذلك لم يَفُتّ فى عَضُدِ «مارى ليون» ، بل أخذت تدرُس الطبيعةَ والكيمياءَ ، وبدأت تُظهِرُ عملَها ونجاحَها ونفوذَها ، وأخذت تتساءلُ ، لماذا لا يُسْمَحُ للفتاةِ بإعطائِها فُرَصاً فى التّعليمِ كالفُرَصِ التى يُعطاها أخوها من الفِتيانِ ؟ وقد أخذت تعملُ بقيَّة حياتها لتُبَرْهنَ على أن الفتاةَ لا تنْقُصُ عن الرَّجلِ فى

ذكائِها واستعدادِها ومثابرتِها . وتنادى بإعطاءِ الفتاةِ الفُرصةَ فى التعلُّم كالفتى .

رَجَعتْ « مارى ليون » إلى قريَتها ومَوْطِنها ، واستأْجَرتْ لنفسِها حجرةً صغيرةً ، وأَعْلَنت أَنها ستفْتتِحُ مدرسةً للبناتِ ،فتقدّمَ إليها من القريةِ خمسٌ وعشرون تلميذةً . وبعد أُسبوعٍ تضاعفَ هذا العددُ ، ونقَلتِ المدرسةَ إلى بناءٍ مُتَّسع فى القريةِ ، فمُلِئَ ذلك البناءُ بالتلميذاتِ . ولم تفكرْ « مارى » فى أَن تُعلِّمَ طمعاً فى المال ، ولكنها رغِبت فى التعليم لحبِّها لتلك المهنةِ الشريفةِ بفطْرَتِها . وقد جعلتِ المصروفاتِ المدرسيةَ قليلةً ، بحيث تَكفى ما تتطلَّبُه المدرسةُ من النفقاتِ ، فكثُرَ الإقبالُ عليها ، ونَشرَت ما كانت تَدِينُ به من المبادئ وهو إعطاءُ الفتاةِ الفُرصةَ فى تعلُّم كل شىءٍ كالفَتى ، وأَخذت تَخدُمُ الإنسانيَّةَ بعِلْمها وتعْليمِها .

مكثت مدرستُها ستّ سنوات ، وكانت الأولى من

نَوْعِها فى الولاياتِ المتحدةِ بأَمريكا ، بحيثُ تستطيعُ بنات الفقراءِ الذهابَ إليها واللّحاقَ بها لإتمام تعليمهن ؛ لأَنَّ أَحوالَها لا تسمَحُ لهُنّ بأَكثرَ منها. ولقد قاستْ تلك المعلمةُ المثابِرةُ الصبورُ كثيرًا فى سبيلِ إنشاءِ مدرسةٍ كبيرةٍ لتعليمِ الفتياتِ ، ومعَ أَنها لم تَجِدْ شيئاً من التَّشجيع فقد صبرَت وثابرَت وأَخذَت تعمَلُ على تحقيقِ أُمْنِيَّتِها ، وتنفيذِ مشروعِها .

وأَخيرًا حينما بلَغت من العمرِ سبعاً وثلاثين سنةً ٱستطاعَت أَن ترى رَغبَتها قد تحقَّقتْ . وبمساعدةِ صديقاتٍ لها يُشارِكْنها فى شعورها جَمعت من المالِ ما يكفى ، فاشترَت قطعةَ أَرض أَقامَت فيها بناءً فخماً لمدرستِها . وفى اليومِ الأَوّلِ من ٱفتتاحِها تقدَّمَ إليها ثلاثةُ أَضعافِ ما تَتَّسِعُ له المدرسةُ من طالباتٍ ، فرفَضَت من الطَّلَباتِ أَكثر من مائتين ؛ لعدم وجودِ أَمكنة بالمدرسة . عاشت « مارى ليُون » ٱثنتَى عشْرَةَ سنةً

تُديرُ هذه المدرسةَ لتنشرَ مَبْدأها الخاصَّ بتعليمِ الفتيات . ولقد تَخَرَّجَ فى مدرستها نحوُ أربَعمائة وألْفَىْ طالبةٍ ، قامت بتعليمِهنَّ ، وتَشَبَّعْن بمبادئِها ونشاطِها ومثابرتِها ، وتَضْحيَتِها بنفسِها فى سبيل غيرِها ، وإخلاصِها فى عملِها ، وأدائها لواجبِها . وبهذه الوسيلة أمْكَنَها أن تُعْطىَ الفتياتِ الأَمْريكيَّاتِ فرصةَ التَزَوُّدِ من الثقافةِ والتعليمِ كالفُرْصَةِ التى تُعطَى الفِتْيانَ والشُّبان . ولقد قالت ذاتَ مرّة : « إنى لا أخافُ شيئاً فى العالَم كالجهلِ بالواجبِ ، أو الإهمال فى أدائِه » .

فليسَ بِدْعاً أن تكونَ « مارى ليون » خيرَ مَثَل فى الاعتمادِ على النفس ، لأَنها استطاعت مع شِدَّةِ فَقْرِها ويُتمِها أَن تعملَ صيفاً لتُنفِقَ على تثْقيفِ نفسها فى المدرسةِ شتاءً . وقد وهَبت حياتَها للدفاع عن المرأةِ وحُقوقِها فى التَّعلُّم كالرَّجُل .

أسئلة فى القصة :

(١) أين كانت تعيش « مارى » مع أسرتها ؟

(٢) لماذا كانت « مارى ليون » فخر المدرسة وموضع ثقتها ؟

(٣) كيف كانت مارى تشغل وقتها ؟

(٤) ما الذى اتفقت عليه أخوات مارى الكبيرات ؟

(٥) بماذا كانت تستعين مارى على أداء نفقات تعليمها ؟

(٦) لماذا اختيرت مارى معلمة بالمدرسة التى تخرجت فيها ؟

(٧) ما العمل الذى قامت به مارى ، ولم يسمع من قبل فى أمريكا ؟

(٨) اشرح رأى الناس فى تعليم الفتاة فى العصر الذى كانت تعيش فيه مارى .

(٩) ما الغاية التى كانت تسعى إليها مارى بالنسبة للفتاة الأمريكية ؟

(١٠) اذكر دليلا يبين أن مارى كانت تحب مهنة التعليم .

(١١) لماذا كانت مدرسة مارى الأولى من نوعها ؟

(١٢) اذكر فضل مارى فى سبيل تحقيق المساواة بين الفتى والفتاة فى التعليم .

فهرس الكتاب

رقم الإيداع	١٩٧٨/٥٣٥٧
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧ - ٢٤٧ - ٥٤٩ - ٩

٧٨/٣٤٠,

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)

المكتبة الحديثة للأطفال

المجموعة الأولى

لتلاميذ من سن ٨ سنوات فأكثر

(١) يوم سعيد	(٢) الطفلان اليتيمان	(٣) الراعى الأمين
(٤) النمر الأسود	(٥) جميلة والوحش	(٦) زوجة الأب
(٧) الأميرة الصامتة	(٨) السمكة الذهبية	(٩) الدجاجة الخائفة
(١٠) العصفور المغرور	(١١) القرش الضائع	(١٢) الصندوق الزجاجى
(١٣) الأميرة الحسناء (سنوهويت)	(١٤) راعية الإوز	(١٥) الأبناء الثلاثة
(١٦) البنت النبيلة	(١٧) لعبة الأميرة	(١٨) القصر الذهبى
(١٩) المصباح الأزرق	(٢٠) الابن النبيل	(٢١) الحمامة النبيلة
(٢٢) شهربان الصغيرة	(٢٣) البنت الوحيدة	(٢٤) الصديقات الثلاث
(٢٥) القلم الذهبى الجديد	(٢٦) الثعلب الحزين	(٢٧) الحزام السحرى
(٢٨) حورية البحر	(٢٩) الكلب الوفى	(٣٠) نسيان الجميل

المجموعة الثانية

لتلاميذ من سن ١٠ سنوات فأكثر

(١) بنت قاطع الخشب	(٢) سيف العدالة	(٣) الحظ السعيد
(٤) مثال الرحمة	(٥) الشاب الوفى	(٦) الأبناء جواهر الأم
(٧) الأميرة المدبرة	(٨) حارسة الورد	(٩) البطل الشجاع
(١٠) الأمير شفيق	(١١) الفيلسوف الزاهد	(١٢) الوطنية الصادقة
(١٣) زهرة السنط	(١٤) الجندى المجهول	(١٥) حلم يتحقق
(١٦) الفارس النبيل	(١٧) تحرير الوطن	(١٨) الأمير حسن
(١٩) الموسيقيون الثلاثة	(٢٠) تأديب الأميرة	(٢١) الشاب الشجاع
(٢٢) الأخ الأصغر	(٢٣) النظام سبب النجاح	(٢٤) الضعيف يغلب القوى
(٢٥) الصبر سبيل النجاح	(٢٦) الاتحاد قوة	(٢٧) الدب الخائن
(٢٨) الصياد المسكين	(٢٩) الكنز المفقود	(٣٠) الفقير النبيل

٢٠٤١٢٩/٥